

«جبهة الأمل» لعبد اللطيف اللعبي

الكتابة والتجربة :

لا يمكن الحديث عن شعر اللعبي كمجموعة من النصوص المستقلة عن صاحبها رغم التمييز النسبي القائم بين الأثر الأدبي وكتابه (التمييز بين طموح الكاتب ونواياه وبين الأثر المعطى)، لا يمكن ذلك لأن الكتابة عند عبد اللطيف تمتاز بحياته بشكل مذهل لدرجة لا نستطيع معها أن نقيم ذلك الفصل التقليدي بين الذات والموضوع أو الكاتب وأثره في كتاب «جبهة الأمل».

الكتابة عند اللعبي تجربة بخد ذاتها، تجربة تقول واقعا تعيشه بمأساويته وتألقه، كما تعيش واقعا تقوله بهزائمه وآماله الباقية، فالشاعر لا يكتب عن هم حيائي ينقله الى الورق، بل يكتبه في الحيلة، ويكتبه وهو يعاينه ذاتيا وموضوعيا، يعايشه بكل تفاصيله كما يعيشه مستمرا وهو يكتبه.

في «جبهة الأمل» ينبغي أن نرمي بكل تلك التصورات الواهمة عن أشكال الكتابة وحدودها، إذ لا حدود للكتابة ولا نهاية لأشكالها. إن اللعبي لا يكتب شعرا بالمعنى المتعارف عليه، وبالمقابل لللعبي كتابة تنسحب على كل ما يقوله في الواقع = رسائله + نداءاته من أجل الحرية + قصائده المتفق على نعتها كذلك. ينبغي إلغاء تلك المسافة التي نتصورها بين (المضمون) الشعري و (شكله)، بين الاجتماعي والسياسي في الشعر والفني فيه. «(1) هنا في هذا الكتاب، يجب أن نفهم أن تجربة الكتابة هي ذاتها تجربة واقع معين، وليست مجرد انعكاس له أو تعبير عنه، انها حفر بالأيدي والأصابع في عمدة ذلك الواقع من أجل أن يعم الأمل الأرض.

الكتابة عند اللعبي تعطي للفعل القائم فيها (كتجربة حياتية) فعاليته، تقوده الى نقطة الضوء، عبر غبار الهزائم وعزلات الفشل، لاعادة خلق الحياة، التي بدون فاعليتها لا يمكن أن تنقوض.

لكن، بما أنها تجربة حياة، هذه التي نسميها تجربة كتابة، فهي لا يمكن أن تموت، نتكلم هنا عن الموت والحياة لا بالمعنى الانطولوجي، بل بالمعنى الشامل الذي يعطيه لهما الشاعر :

الموت : الانتهاء والقبول.

الحياة : الاستمرار النوعي الخلاق حتى بعد الاستشهاد المناقض للموت.

في دلالة اعتقال الشعر :

وعندما نقول بأن تجربة اللعبي الحياتية هي كتابته الشعرية، وأن هذه الأخيرة هي حياته، فنحن نعني بذلك تلك المرحلة التي أصبح فيها الشعر عنده رئة يتنفس من خلالها غضب الشعب. وعندما يمتزج الشعر بالحياة (الحياة بالمعنى المشار اليه سابقا) فإنه يتعرض لمحاولة الخنق، وهذا ما حصل للشاعر على الأقل منذ 1972 وحتى الآن.

الدفاع عن الشعر هو دفاع عن الحياة، وإذا كانت قبائلنا الممتدة على طول البحر الأبيض المتوسط تلجأ إلى اعتقال شعرائها «ها» فذلك نتيجة حتمية لاحتجاج هؤلاء ضد الخنق وكبح وتكبيد الطاقات الهائلة والخلقة لدى شعوب هذه القبائل المتحمسة للتغيير الجذري. أي قتل فكرة التغيير فيهم، خنق للشعر كملكة جماعية طبيعية.

— «تعرفين كفاحي

من أجل فن جديد

لا يتعارض فيه الشكل والمضمون

بل يتناسقان كعضو مع وظيفته

كتناسق الدماغ مع اليد

يتحدان في التأمل

في الدراسة في الممارسة

الفن الذي سيأخذ على عاتقه

كل الميراث البشري

للجمال الحقيقي

ليدفع به حتى يصله بذلك الملتقى الأقصى

حيث سيصبح الشعر

ملكة طبيعية»

ص 185 — 186

وبورجوازيات هذه القبائل من أجل استمرار نهجها الذي هو خنق للشعر، تحافظ على بعض الأشكال القمعية السابقة وتضفي عليها طابع العصرية : الاحتفاظ بالقمع المباشر والأيدولوجية الدينية من «المرحلة الأقطاعية» وعصرتها مضيقة أنواعا جديدة وحديثة من وسائل القمع : التلفزيون + الصحف + الحبس + الدعاية... وبورجوازياتنا هذه، لا علاقة لها بالليبرالية والديمقراطية، لأنها ذيلية حتى النخاع، تابعة في نموها المهجين الذي يتطلب المزيد من الذهب (2) تخاف الكلمة التي تعرض على إعادة خلق العالم، تخاف الشعر حينما يصبح حياة

أي ملكة جماعية. الاعتقال هنا، حالة طبيعية في وضع غير طبيعي، «(3) حالة منطقية في عالم لا منطقي يطبعه الاستغلال والعنف. الاعتقال هنا، هو معادل الحريات الموهومة ومكمل ضروري لها؛ إذ لا مكان لصوت الشاعر — النشار في جوقه الانشاد التي تردد بأصوات مبحوخة أناشيد الحرية الباهتة.

اعتقال الشعر هو جزء من اعتقال كل الطاقات العظيمة الأخرى، هو درجة أكثر عنفا للنفى الجماعي الذي نعاني منه منذ زمن طويل.
ولكنه بالمقابل إنذار مفجع بالعواصف المقبلة، دليل على لا تكافيء المعركة، خوف من هذا النهوض المفاجيء العارم من تحت الانقراض، انه بداية الطريق.

— «أحيانا أم كرهنا
عندما يلقي بشاعر ما في بلاد ما
داخل السجن
فتلك علامة لا تخطيء
معناه أن مصاصي الدماء والجلادين
قد أصابهم الرعب
معناه
ان نظام المستغلين
أخذ في الانهيار»

ص 119 — 120

الكتابة في الواقع :

منذ الهزيمة وحتى الآن وعبد اللطيف يكتب الواقع وفيه، أي منذ (سلسلة +...) وحتى الآن، وقصيدة عبد اللطيف تنكتب في الواقع كجزء منه. إلا أن شكل حضور الواقع مكتوبا يأخذ طابعا آخر منذ 1972، إذ يمتزج القول الشعري بالواقع، يشكلان جسدا واحدا.. القصيدة تعيش الواقع الذي تقوله وتقول الواقع الذي تحياه.. أي أن القول الشعري يصبح شكلا من أشكال مقاومة الموت، أي جزءا من الأدوات الملموسة لقهر الألام (4) ورفضها، ودعوة مادية للتفكير من أجل متابعة السير... في قصائد العنف الأولى (سلسلة +...) يتعامل اللعبي مع الواقع تعاملًا حماسيا مجردا إلى حد بعيد. وفي حماسه الشعري يتم تعميم الواقع (الواقع الجزائري بالتحديد) وفي تجريده له يقفز الشعر عن كتابة تجربة إنسانية في ملموسيتها، ويعوض ذلك بتكديس وصفية ذي طبيعة هجاء لنعوت تشير إلى عسف الواقع وارتباطه وتبعيته.. في هذه المرحلة كان عنف اللغة يتضمن قول عنف الواقع ويبرزه بشكله

اللياس ادريس

التجزئى المشنق، أي كما هو خارج القصيدة، من هنا لا ترقى قصائد العنف الى إعادة خلق العالم (حزيران، أيلول) لتقوله شعريا... ومن هنا ذلك الانتشار اللغوي فوق بياض الورق الذي لم يستطع إقناعها بعمق تجربته الانسانية، لأن عنف اللغة في آخر المطاف يتحول الى مجرد اتهام بارد يقول سطح الواقع ومظهره بشكل عنيف (لغويا) فيما يعتقد انه يقول جوهر تناقضاته وحركته.

التحول والتحول الشعري :

إلا أنه بدءا من (أزهرت شجرة الحديد) تحول قول اللعبي للواقع منتقلا من الرفض اللغوي العنيف له (سلالة +...) الى الادانة الثورية الهادئة التي هي اقصى درجات العنف.

والتحول في قول الواقع هو قبل كل شيء تحول في رؤية حركة صراعاته، وتحول في الفعل داخل تناقضاته (أزهرت شجرة الحديد...) هي الانتقال من رفض الواقع الى ادانته.

وفي انتقاله الى موقع الادانة يتقرب الشاعر من الحقيقة، وفي اقتراب الشعر من الحقيقة يتحقق اندماج الشاعر بالحياة ليشكلان صرحا منيعا واحدا ضد الموت..

وفي هذه القبائل عندما يقترب شاعر ما من الحقيقة، أي عندما يدمج حياته بشعره. يواجه بشدة من طرف معتصبي الحياة (= معتصبي الشعر)، فيحدث الاعتقال ويحدث التحول.

الحقيقة، هنا، في نسبتها، التي على الشاعر النضال من أجلها عبر النضال من أجل قولها (وقولها هو نضال من أجل وصولها). فالحقيقة الممكنة (ولكن غير المتحققة الآن) والمقصودة هي أمل كل الشعراء، والوصول اليها هو الغاء لكل المسافات القسرية القائمة بين السياسي في الحياة والأدبي فيها.

شاعر الأمل هو شاعر الحقيقة (وأزهرت شجرة الحديد +...)، نقول الحقيقة (= الأمل) في ملموسيتها وفي عمقها الانساني. إنها لا تكتفي بوصف الواقع، بل تطرح الاسئلة الكبيرة فيه من أجل الخروج منه وبه الى حالة النقيض..

— «مجنون دائما

يلزم أن نفكر

كيف انتهى المطاف بنا

كيف الثورة، أنت

ومسيرتي الطويلة»

ص 121

وطرح السؤال في الواقع هو طرحه في القصيدة وفي تجربة الشاعر. فوجود الشاعر رهن الاعتقال دليل على استمرار حالة النفي الجماعي، أي استمرار منطق القبيلة.. إلا أن وجوده النوعي هنا هو تأكيد على الاستمرار في الاقتراب من الحقيقة (- الأمل)، تأكيد على رفض الفشل الذي أدى الى الهزيمة (= فشل البورجوازيات العربية في إنجاز الحد الأدنى من مهامها كقائدة لحركات التحرر الوطني + فشل المشروع البورجوازي الصغير التقدمي في أكثر من مكان...)

إن الاستمرار النوعي هنا (الاستمرار في الخلق) هو رفض لمنطق الهزيمة ورفض للمشروع الفاشل وطرح السؤال في أسباب الهزيمة والفشل وأسباب تكررها المأساوي. والاقتراب من الحقيقة لا يتحقق في العراء أو في المطلق بل داخل حركة الصراع، لذا يبتنى الأمل عند عبد اللطيف من ظلم الاقبية وعفن القبور ودماء الشهداء.

الأمل هنا هو نقيض لذلك التفاؤل المزعوم الكاذب الذي يميز بعض شعرائنا الصغار المعزولين عن حركة الواقع ومنطقها. (5) الأمل يولد من الفشل كرفض له. من الموت كنقيض له.

إن رفض الفشل عند اللعبي هو دعوة للحفاظ على نقطة مضبوطة بداخله من أجل متابعة المسيرة.

الشهداء / الأمل :

واذن كيف يصبح الشهداء أملا ؟

إن الجبهة — كلفة سياسية — تناقض ظاهريا الأمل من حيث كونه لغة شعرية، إلا أن الكتابة الشعرية عند اللعبي، وهي تهدم المسافة القائمة بين السياسي في الحياة والأدبي فيها، تؤسس لعلاقة جديدة بينهما يصبح الشعري فيها هو السياسي ذاته وقد تخطى عن الخطائي فيه وتحول الى مبدع خلاق يعطي للفعل فعالتيته.

إن جبهة الأمل هي جبهة الحقيقة، وجبهة الحقيقة هي جبهة الشهداء، والشهداء عند اللعبي فعالية حياتية تستمر حية نابضة بالأمل في شعر اللعبي، وكتابة اللعبي استشهاد الشهداء، هي عيشة موتهم، لأنه يكتب من نفس الموقع الذي يحتلونه في رئة الشعب، من نفس الشرط الانساني الفاجع بلا انسانيته الذي يوحدون فيه (إنه معرض للاستشهاد بين لحظة وأخرى) هنا بالضبط- تصبح الكتابة واقعا ملموسا وأكثر مادة... وتكسي جدلية الفشل / الأمل أكثر واقعية.. إن معاناة لحظة الاستشهاد ذاتيا وموضوعيا بكل رغبها ورهبتها هي التي تنتزع الأمل انتزاعا من تحت سياط الجلادين ومغتصبي الحياة.

— في قصائد «أيفلين + سعيدة + فارس العطاء تبرز بوضوح جدلية الفشل / الأمل، حيث يصعد الأمل من عيون الشهداء.

«ميت، أنت، أممكن يا محمود ؟ لا أقوى على حصر الدموع. العالم يظلم من حولي. القصيدة عزاء حقير إزاء فقدانك، أتوقف.

حسنًا يا محمود، يا رفيقي العذب، السرمدى، علي أن امثل لوصيتك الأمرة بالفرح.»
ص 148

«ولماذا موتك

يستحيل أن يبقى مكتوما

يستحيل اختزاله في مرثية تلقى بين الأقرباء

ثم تدفن

في سرداب النسيان، نفسه

مع العبرات

أكاليل الورود

والعناق اليائس

لا لا

ص 152

«الكتابة تافهة، هذه الطعنة في القلب، سماء الشقاء العاقر. شمس الجريمة تجهيز شاحب. صمت الاسوار المتراكمة، كرامة مسننة تحاصر أيدينا. تافهة هي عيوننا المدماة. الموشومة بأخاديد العقد. وكلماتنا مفرقات باردة كقماط في المزيلة. تافه طوافنا المسلول ونحن نخرج أقدامنا في قلعة المنفى آه من حبنا المتوحش يا رفاق السلاح. ولكن لا تأبه

شق العصا أيها القصيد

يا ابن الالم الاقصى»

ص 166

خصوصية تجربة اللبى :

إن تجربة اللبى الشعرية هي تجربة حياتية مناقضة للموت، فرفضه للموت وتشبته بالأمل هو نتيجة لتعرضه اليومي لها ؛ وفي بحثه الدائم عن بريق الأمل في أنقاض الظلام والقهر يكبر الكون في عينيه ويتحقق نقيض ما أراده أعداء الحياة (أي أعداء الشعر)، يكبر العالم وتزهر شجرة الحديد ويصبح القول الشعري تغنيا بكل أسرار الكون، الشيء يعطى للشعر (خاصة

شجرة الحديد) طبيعة ملحمية يبدو الشاعر من خلالها سائرا عبر أزقة المدن القديمة، مكتشفا تناقضاتها، كاشفا زيفها، متبهما مغتصبها ومتوهي تاريخها، حتى يصل الى اللحظة التي يكتب فيها فيكشف استمراره النوعي ويدعوك لتأمل كل شيء بشكل جديد وعين جديدة متبصرة :

الكتابة : كدعوة للفعل الخلاق، ورفض للهزيمة والألم كنقيضين للانسان في اقترابه من الحقيقة.

الانسان : كدعوة للحفاظ على داخله من أجل متابعة السير.
المرأة : كنوع بشري جديد، أي كمشاركة رئيسية في صنع الغد الافضل، في الخلق، في ابداع كل ما هو جديد بالفعل.
الحب : كملكة طبيعية لا تكرر الامتيازات.
الحقيقة : كدعوة • ستمرة لقولها وخوض المعارك من أجلها، إذ بدونها يفقد العالم الانساني مغزاه ويستحيل الى نقيضه.

إن هذه العناصر وغيرها هي ما يعطي للشاعر خصوصيته كمبدع يكتب من مكان معين في واقع معين. إن شموخ الشاعر الذي انتزعه انتزاعا من الاقبية والسجون هو الذي يعطي القصيدة نكهتها الخاصة كقصيدة دائمة، أي قصيدة الأمل (= الحقيقة).

- 1 — إن السياسي في الادب يصبح أدبيا عندما يتخلى عن الخطابة، أي عندما يخضع لشرط الكتابة ككتابة أدبية، وإلا فإن الخطابي سيجبرهم ليهدم شرط الكتابة ليعدها عن مجالها المحدد : أي كونها كتابة أدبية.
- 2 — جبهة الأمل، ص، ص، 81، 168.
- 3 — جبهة الأمل، ص، 104.
- 4 — جبهة الأمل، ص، 155.
- 5 — جبهة الأمل، ص، 131.